من منظور علوم الإيزوتيريك

ماهية اللون وتأثيره على الإنسان

بقلم: د. رانيا فرح
www.esoteric-lebanon.org
Raniafarah111@hotmail.com

مجلة "الأبعاد الخفية"
الصادرة في الكويت
عدد تشرين الثاني ٢٠٠٨

ينظر المرء من حوله ليجد أن الألوان تصبغ الحياة والوجود. وينظر إلى نفسه فيراها تنجذب شعورياً أو لا شعورياً إلى ألوان معينة دونما سواها. منها ما يريحه ويتناسب مع ذوقه، ومنها ما لا ينسجم معه. وإنما الأهم هو أنه يتأثر بها، يتذوقها ويتفاعل معها حتى بالفطرة. مَنْ تفتحت في نفسه بذور حس الجمال، ومَنْ تميّز بمشاعر مرهفة وفكر شفاف، لا بد وأن يستشعر أهمية الألوان ويستشف تأثيرها في باطنه. بذلك يعي وجود رابط خفي يجمعه بها. فكثيراً ما يلجأ المرء إلى الألوان للتعبير عن حالة نفسية أو للاستفادة من ميزاتها ومعانيها ولو كان ذلك أحياناً لاوعياً منه.

فهل من سر وراء لجوء العشاق لتبادل الأحاديث الحميمة، والبوح بأسرار دفينة، والتعهد بوعود مستقبلية على شاطئ بحر أزرق نابض بالحياة، براق بالضوء وشفاف بالرومانسية.. حيث يجدون سهولة في التعبير بعيداً عن صخب المدينة وضجيج المقاهي؟! وهل لزرقة البحر أن تحرّك مشاعر الحب والمحبة وتطلق العنان للتعبير الصادق المبسط؟!

ألا ينكب الفنان الرسام في إبداع لوحة تضج بتدرجات الألوان والظلال تعبيراً عن حالة نفسية أو ذوق أو مزاج معين؟!

إن للألوان تأثيراً مباشراً على حالة المرء النفسية، يمكن اختباره عند الجلوس في الطبيعة أو على شرفة المنزل عبر التأمل في ما يضفيه لون الطبيعة الخضراء من مشاعر هدوء وصفاء. والتجربة خير برهان.

الألوان وعلم النفس

لعل ما تقدم ليس بالجديد. فعلم النفس الحديث وضّح بعض معاني الألوان، ميزاتها وصفاتها وتنبّه إلى تأثيرها في حالة المرء الجسدية والصحية، النفسية والفكرية، كما بدأ باستعمال الألوان في العلاجات المختلفة. لكن هل استطاع كشف اللغز القديم الذي جمع الألوان بالإنسان والسر وراء تواصل هذا الأخير معها والتأثر بها؟

لسبر أغوار حقيقة هذا اللغز- السر، لا بد أن نلقي نظرة على علوم الباطن الإنساني (علوم الإيزوتيريك) لتقصّي النواحي الخفية في الكيان الإنساني وفي الوجود، فهذه العلوم تفيدنا أن «الألوان وجدت مع بدء الوجود. فلا وجود دون ألوان ولا ألوان من دون وجود». وتكشف ما حيّر العلماء والباحثين في ماهية اللون وكيفية تأثيره في النفس موضحة أن الرابط الخفي الذي يجمع الإنسان والألوان هو وبكل بساطة حقيقة ساطعة، وهي أن «الألوان قائمة أصلاً في كيان الإنسان... وبالتحديد في مكوناته الباطنية اللامنظورة، أي في أجهزة وعيه».

وهنا تجدر الإشارة إلى أن علوم الإيزوتيريك توضّح بأن الكيان الإنساني مؤلف من سبعة أجسام أو أجهزة وعي، ستة منها باطنية أو خفية وسابعها الجسد المادي الكثيف الذي يحتويها ويحفظها متماسكة. وهذه الأجهزة الخفية هي الجسم الأثيري (aura) الذي يلي الجسد المادي مباشرة، يليه الجسم الكوكبي (المشاعر)، ثم الجسم العقلي، فجسم المحبة ومن ثم جسم الإرادة وصولاً إلى الروح. علماً أن لكل من هذه الأجسام تدرجات لونية تمثل درجة وعيه.

اللون تجسيد للذبذبة

بالعودة إلى ماهية اللون تشرح علوم الإيزوتيريك أن «الألوان هي تجسيد ذبذبات». وكل ما في الوجود مكوّن من ذبذبات: الإنسان، الأرض، الأفكار، المشاعر، الألوان، الخ... فالذبذبة هي روح الذرة ومحركتها واللون هو أحد أردية الذبذبة. وتختلف الألوان بحسب سرعة حركة تذبذبها. بمعنى آخر، إن سرعة حركة الذبذبة هي ما تضفي لوناً معيناً دون سواه، أي ما يحدد اللون، لون أي شيء. خلاصة القول، إن كيان الإنسان مكوّن من ذبذبات، والألوان كذلك. لذا يتمّ تفاعل الإنسان مع الألوان عبر تفاعل ذبذبات أجهزة وعيه اللامادية مع ذبذبات الألوان في المحيط من حوله. من هنا يُخرج تفاعل المرء مع الألوان من محدودية

عالم الجسد والحاسة البصرية. ولعلّ هذا ما يفسر مقدرة بعض الأشخاص على تمييز اللون من دون استخدام حاسة البصر، وذلك عن طريق حاسة اللمس الباطنية أي تحسس اللون عن طريق الهالة الأثيرية.

للون معنى ومغزى

طبعاً، في منظار علوم الإيزوتيريك للون معنى ورمز، ونلاحظ أن الأربعين كتاباً (حتى تاريخه) في موسوعة علوم الإيزوتيريك في لبنان والعالم العربي (بقلم الدكتور جوزيف مجدلاني) طبعت محتوياتها بألوان مختلفة نسبة إلى معاني ورموز الألوان، حتى تخال مجموعة كتب الإيزوتيريك لوحة أو تحفة فنية تزدان وتغني بها مكتبتك الخاصة فضلاً عن إغناء فكرك وحياتك بمعرفة إنسانية عملية ما وجدت إلا لتطوير وعي الإنسان وتحسين حياته اليومية.

الألوان وتعزيز الصفات

إن الألوان تساعد على الشفاء من الأمراض العصبية وعلى إراحة النفس وإنما لا تضمَن الشفاء ما لم يعمل الإنسان على نفسه. كما وتساعد على تعزيز الصفات الإيجابية كالمحبة التي يمثلها اللون الأزرق السماوي مثلاً أو الإرادة القوية التي يمثلها اللون الأحمر القرمزي، إلا أن هذا التأثير يبقى ثانوياً أو نظرياً لا يكتمل إلا في التطبيق العملي الحياتي. والسبب بكل بساطة يعود إلى كون الإنسان محور ذاته ومحور الحياة. بمعنى آخر إن اكتساب أو تقوية مشاعر المحبة يتم عبر ممارستها في المساعدة مثلاً أو عن طريق ممارسة ميزة الاحتواء والصبر والعطف في وجه البغض والحسد والحقد.

إن مقدرات الإنسان الذاتية وإرادته في تحقيق شفائه أو في اكتساب أي صفة داخلية هي أقوى من أي تأثير خارجي كالألوان أو غيرها، التي ربما يُبرر استعمالها في المراحل الأولى من العلاجات النفسية، وإرادة المرء تلك يحركها الفكر، لأن الفكر هو القائد في تغيير حياة المرء وتحسينها، ليصبح المرء سيد نفسه ومصيره، سيد شخصيته، طباعه وسلوكه إن عمل على تقوية الفكر بإيجابية ووعي في ظل معرفة الباطن الإنسانية. ولجوء المرء للألوان لاكتساب صفة معينة إيجابية يعني أنه وعي أو اعترف بسلبية معينة وقرر التخلص منها واكتساب الإيجابية مكانها، ما يعني أن كيانه الداخلي أصبح على استعداد للتفاعل مع اللون وبالتالي تشرّب الصفة الجديدة. لكن هذه الصفة تبقى عرضة للاضمحلال إن لم يعمل المرء على تقويتها عبر تطبيقها عملياً في حياته.

الإنسان على علاقة بكل شيء

من ناحية أخرى، تكشف علوم الإيزوتيريك حقيقة أن «الإنسان على علاقة بكل شيء في هذا الكون الرحيب- إن وعي ذلك، أم لم يعه! فالإنسان جزء من كل... ولا يستطيع أن يكون عالَماً بمفرده، أو كلاً لوحده! يجب أن يعي أنه جزء من الكل الذي يحوي أجزاء عديدة أخرى.. والأجزاء عادة تترابط في ما بينها بل يجب أن تترابط كما حلقات السلسلة، وإلا فهي ليست سلسلة بل مجرد حلقات متفرقة متباعدة، لا معنى لوجودها»!!

من هنا يخضع الإنسان لتأثير موجودات الكون برمته بما فيها الألوان، وإنما يبقى المرء في تفاعلاته «سيد ما يعرف وعبد ما يجهل». فبقدر ما يوسّع معرفته يعي تفاعله مع الموجودات من حوله لا بل يعي أيضاً مدى تأثير دوره فيها، من منطلق أن الإنسان هو المحور والهدف دائماً وأبداً.

عصر النور

وهنا يبرز السؤال: هل عصر النور والمعرفة الذي تتحدث علوم الإيزوتيريك في مؤلفاتها عن حلوله في المستقبل القريب، سيحمل لنا ألواناً جديدة ومتجددة تحدث ثورة نوعية معرفية في سائر العلوم والفنون؟! وماذا عن الألوان ما فوق البنفسجي وما تحت الحمراء التي لا ترى بالعين المجردة؟ هل سيتوصل العلم المادي إلى معرفة ماهيتها وفك رموزها من دون الانفتاح على العالم الباطني في الإنسان... ومن دون البحث حيث لم يُبحث قبلاً، في أعمق أعماق الإنسان؟!

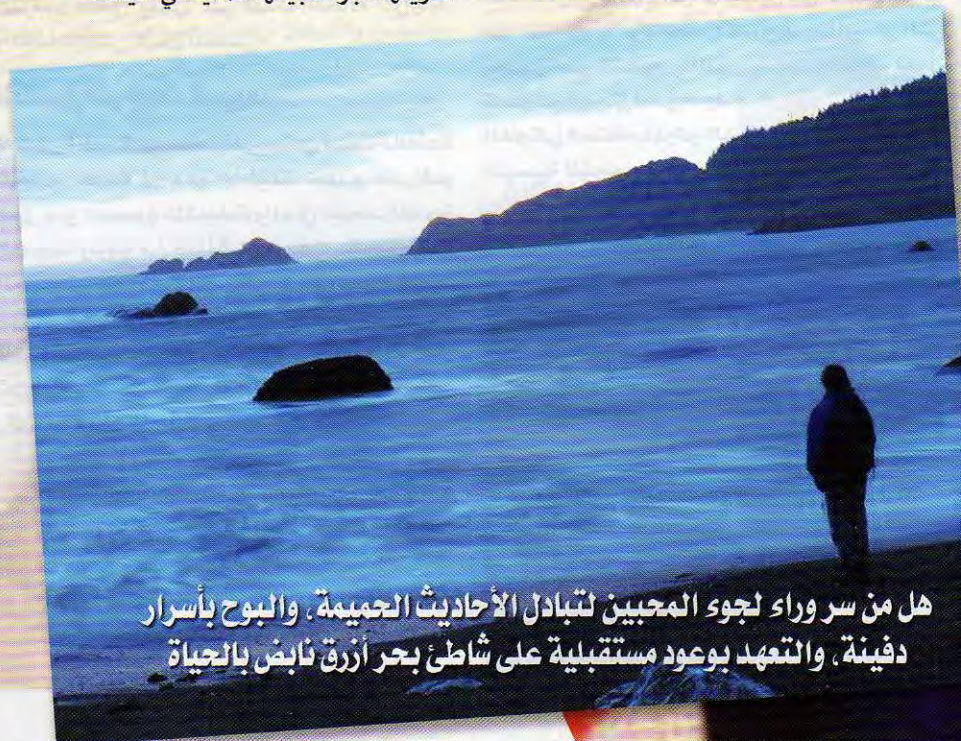

هل من سر وراء لجوء المحبين لتبادل الأحاديث الحميمة، والبوح بأسرار دفينة، والتعهد بوعود مستقبلية على شاطئ بحر أزرق نابض بالحياة